فما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس
وما أشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر
وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم آل
قصي ألا ترى إلى قوله في قصة أم معبد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسودد

ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها
عربية قرشية ليسكن إليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي
جعلا له شركا فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف
وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما
ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا إشكال
فيه وقرئ شركا أي ذوي شرك وهم الشركاء أو أحدثا لله
إشراكا في الولد أيشركون أجريت الأصنام مجرى أولي العلم في قوله
وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة والمعنى
أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لأن
الله خالقهم أو لا يقدر على اختلاق شيء لأنه جماد وهم يخلقون لأن
عبدتهم يختلقونهم فهم أعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم
لعبدتهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من
الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم
وإن تدعوهم وإن تدعوا هذه الأصنام إلى الهدى إلى ما هو هدى
ورشاد وإلى أن يهدوكم والمعنى وإن تطلبوا منهم كما تطلبون
من الله الخير والهدى لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما
يجيبكم الله

علي ولأن الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه أوجه
ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء
للفصل ولا تولوا وقرئ بطرح إحدى التاءين وإدغامها والضمير في
عنه لرسول الله لأن المعنى وأطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله
أحق أن يرضوه ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول
فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقولك
الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان ويجوز أن يرجع إلى الأمر بالطاعة
أي ولا تولوا عن هذا الأمر وامتثاله وأنتم تسمعونه أو ولا تتولوا
عن رسول الله ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أي تصدقون لأنكم مؤمنون
لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
أي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير
سامعين والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتم عن
طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم
كلا تصديق وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال إن شر الدواب
أي إن شر من يدب على وجه الأرض أو إن شر البهائم الذين هم صم
عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها
ولو علم الله في هؤلاء الصم البكم خيرا أي انتفاعا باللطف لأسمعهم
للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو أسمعهم لتولوا
يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه
أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل
هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير
وسويد بن حرملة

Copyright © King Saud University